: كان ذلك ، كما بدا لي ، في نهاية الحرب . والحروب لو لاحظتم ، تنتهي مرات عديدة في العالم الحديث .

كنت في جيش «مغلوب في وطن حزني . اجتزناها من ضباب الشمال الى الشمس الجنوب الماساوية . انقطع بنا الامل . فقد سقطت غرناطة كنا جنودا تائهين في مدينة «صغيرة كراحة اليد» مفتوحة ننظم سير القافلة . احد رجالي وهو شاب يافع عين هناك في ساحة تتقاطع فيها عربات ومصفحات شتى . مدينة تعود الى ما قبل ابي عبد الله ، والشاعر الذي اذكره هنا هو من اولئك الذين في القرن الثاني عشر — واسمحوا لي هنا عدم التقيد بالتقويم الهجري — ممن زاوجوا دروس الغناء العربي بالحنين الذي لدينا . وباختصار فقد كان خفيرنا المغروس في مفرق الطرق يلوح بذراعيه مثل طاحونة لا تفعل شيئا سوى الدوران . وكان انقياد الفارين والكتائب المتراجعة لهذه الاشارات غريبا ومضحكا . كان انقيادا ممزقا .

عندئذ اقتربت امرأتان من صاحب الاشارات . امرأتان مسنتان لا يعلم الا الله كيف وصلتا الى هنا سيرا على الاقدام وكلمتاه . اما هو فقد هزيء بهما كما لو كانتا دميتين ، حتى لو كان هذا ممكنا ذلك الوقت . كلمتاه عن طريقهما حتما معلومات عن الحكومة ، واين كانت الحكومة تلك الساعة .

حرك ذراعيه وادار ذقنه بغضب كسهم ليقنع نفسه باهميته في الاقل . اذ كان هناك ما يستحق الاهمية في العالم .

اسرتا له انهما ام رئيس المجلس وشقيقته لا لادعاء منهما بل ليهتم بهما هذا الفتى ، ففي تلك اللحظة لا شيء مدعاة لانتفاخ الاوداج . ولم تكن المسكينتان على علم بما جرى .

ولابد من وقت لتتعودا على سقوط الامجاد .

كانتا تجهلان ، على ما اظن ، ان ابنهما وشقيقهما قد اوقفته السلطة الجديدة مرضاة لفرديناند المشكوك في كاثوليكيته . هذا الابن والشقيق هما من وهبا الرضى للعائلة ... لماذا اروي لكما ذلك ؟ آه ، نعم من من اجل الشفقه ، هل كان لدينا سبب للشفقه على هذا الوزير الاول المعزول الذي جسد جنون حرب باعونا فيها بالمفرق؟

حتى الان اتكلم عن هاتين السيدتين واحتفظ باسميهما بين اسناني . سيكون شاننا اذا محضتهما غير كياسة ساحرة ، الا تتخيلون بانني لا اكن لهما في الواقع غير هذا الشعور المتحفظ ، فانا على استعداد الا انظر اليهما الا بعيني الشقاء !. آه .. اعرف انه كان شقاء بلادي ، بلادي مثل هاتين المراتين المتعبتين اللتين لا تفقهان شيئا عن مسار الاحداث . احداهما وضعت كيسا صغيرا، وثقيلا ماذا في داخله ؟ ربما حلي ، ذكريات حياة ، صورة لرجلهما العظيم في ساعة انهيار الوطن

اين هو الغضب المقدس في صدري ؟ علي ان ابوح به ، لم يكن في الاحترام . انتم لا تدركون علائق الاشياء ، لماذا تريدونني اشد ضراوة على ابي عبد الله مني على بول رينو؟» .

كذلك لا يخفي اراغون تاثره بالتصوف العربي ولاسيما بالحلاج وابن عربي رغم رفضه المتصوف باعتباره طريقا للكمال بواسطة التأمل الالهي وهذا ما يتناقض ومفهوم الشعر ، الا انه يمنح التصوف معنى جديدا واقعيا بالاحرى .. فهو يستشهد بعبارة ابن عربي «المخلوق لا يحب سوى خالقه» ويفسرها تفسيرا جديدا قائلا : «اعرف انني احب غير انني لا اعرف خالقي ، ومن اجل تفسير عبارة ابن عربي على ضوء الواقع الا يحق لنا ان نقبلها ونقول : «الذي احبه يخلقني» عندئذ تقف الفكرة الصوفية على قدميها بعد ان كانت مقلوبة .. وتتوجه الكلمات الى المراة المحبوبة بدلا من الخالق ، مثلما يقول المجنون — مجنون الزا — ليس ثمة فارق بين الصلاة والغناء حينما تصير القبلة المكان الذي تتواجد فيه المراة .

الصوفية بهذا المفهوم لا توجد في شعري فان كان ثمة قرابة بين الشعر والتصوف فهي ربما تكمن في تغيير منحى التصوف ليصير شعرا » .

يوضح اراغون فكرته اكثر حين يقول ان العاشق حين يخلقه الحب يتحول الى «انا» وليس الى «اخر» الى الانسان وليس البهيمة التي كانها ، وفي مثل هذه العلاقة يعكس المراة والرجل احدهما الاخر . ثم يخلص اراغون الى تفسير للشعر طريف ، يرى ان الشعر هو الصوفية وقد اوقفت على قدميها تماما مثلما فعل ماركس مع هيجل .

ولاراغون تفسيراته الخاصة الكثيرة التي قد تتطابق مع مفاهيمنا او نختلف معها غير انها بمجموعها تعبر عن ولع اراغون الشديد بالحضارة العربية وبحثه الدائب عن الحقيقة بعيدا عن التعصب الاعمى والجهل الفاضح .

اراغون

اراغون في منزله

كلمات عن أراغون

بيير موروي

كان اراغون قبل كل شيء صوتا عظيما .. صوتا غنى الحياة ، الحب تعاسة البشر على مر العصور في لغة بسيطة ومحكمة في ان واحد .

انه واحد من اعظم فناني حداثتنا وواحد من رواد ينابيع اللغة الفرنسية الثرة .

نيرودا :

اراغون الة الكترونية من الذكاء والمعرفة والسليقة البليغة .

بييرديكس :

لا استطيع في هذه اللحظة التفكير الا بالشاعر . اننا فقدنا واحدا من اعظم شعراء لغتنا وعصرنا . اننا بسبب كلماته نفسها نحيا اليوم موته الذي لم يكف عن ملازمته منذ مرضه وموت الزا . انني افكر بقصيدة كلمات النهاية في «مسرح رواية» :

انتظر الموت مثل عاشق سيء

يتاخر دوما عن الموعد

في هذا المفترق .. مفترق الغياب المخيف

في هذا المكان الذي بلا امل حتى ولو بكلمة

جان فيرا :

سيبقى اراغون الشاعر الذي جعل الملايين من الناس تدرك ان الشعر لم يكن شيئا صعب الادراك بل شيء يمكن ان يفهمه ويحبه الجميع حين يكتب للجميع .

بول كلوديل :

ان الاذن تصغي بلذاذة الى هذا اللسان الساحر .

اما القوى الرجعية فقد استقبلت موت اراغون بفرح وهي لم تكتم فرحها هذا بل عبرت عنه علانية . اننا ننقل نص حزب القوى الجديدة وهو يميني متطرف كما هي لنرى اي حقد يحمله هؤلاء حتى للاموات :

«الكلمات تعوزنا للتعبير عن فرحنا . اننا لسنا كالليبراليين الذين يذرفون دموع التماسيح على موت عدو فرنسا بالعكس اننا ننتظر بفارغ الصبر ان يلحق به رفاقه بعد ما نديس فرانس وبريجينيف . انه حقا لشتاء جميل بالنسبة الينا» .

قصائد عن اراغون

المقامر

شعر : اليوار «الى لويس اراغون»

في النعش اطلق يدي : الكرز اهلك يدي ، الكرز اهلك كثيرا وستطيع ان يحترق . ادعه يحترق بحب بعضنا بعضا . واثق من ذلك لا اشك ابدا بالكرز .

مديح صامت

شعر يانيس ريتسوس «الى سنوات اراغون الخمس والسبعين»

هو وثوة نار بيضاء رشاقة من يرفض انعكاسات المطارات المضيئة .
على كل اصغر من يده — اين تمضي وحيدا — يقول الاخر — هكذا نهاية — تحت صلبان الاشجار العارية على ضفة بلا على طول النهر مهموما غير مكترث . الاسماك مطلما ماساتك الضخمة وهي تمر سريعة مطمئنة .
انت من جمع الاضداد في ايقاع واحد ؟ اين تمضي اذن وحيدا حاملا وسامك .. في حزن الهتافات البعيدة ؟ اعرف في حبء سترتك الفرو «ولذلك انت حزين» تتعهد ان تخفي ليس مسطرة نجار الازمنة الغابرة بل جنحا من جناحيك الفولاذيين .
الاخر ليس بمقدورك ان تخفيه انه يلقي على تلتي وجهك ظله وعلى قميصك العازي في كشاف نور الليل الشرس .
على ظل هذا الجناح تتعرف عليك التماثيل الشعراء الطلاب الثورة وانا .. انا الذي اعرفك افضل من الجميع من جناحك الغض الملوي .

تساؤلات الى اراغون

شعر : بابلو نيرودا

ما الذي تخفينه تحت سنامك ؟
يقول الجمل للسلحفاة
تجيبه السلحفاة

وماذا تقول اذن للبرتقالات

لماذا الشجرة الكمثرى
اوراق اكثر «من البحث عن الزمن الضائع»

لماذا تنتحر الاوراق
حين تشعر بالاصفرار ؟

كيف تطير قبعة الليل
بثقوب عديدة ؟

ما الذي يقوله الرماد القديم
وهو يسافر قرب النار

لماذا تبكين كثيرا ايتها السحب
وعند كل مرة تصيرين اكثر فرحا ؟

لمن تلمع مدقة الشمس في ظل الخسوف ؟
كم نحلة في النهار ؟

لماذا لم يستطع كولومبس
اكتشاف اسبانيا ؟

الدموع التي لا تسيل
اهي بحيرات دمع صغيرة ؟

ام انهار خفية
تسيل صوب الحزن

من اين جاءت هذه السحابة
باكياس المطر السوداء

ماذا ستقوله البولونيات
عن قبعتي بعد مئة سنة ؟

ماذا سيقول عن شعري
اولئك الذين لم يمسوا دمي

قصائد لأراغون

غابرييل بيري

في مقبرة ايفري
في اعماق حفرة جماعية
في ليل مجهول بلا قمر
يرقد غابرييل بيري

في مقبرة ايفري
عبثا تغلق الابواب
لان ثمة من يحملها في الليل
فيزهر غابرييل بيري

قطعة من سماء صغيرة فوق الصمت
السماء جميلة حين تمطر
للذكرى عينان زرقاوان
من اجل الذي اغتالوه بعنف

في مقبرة ايفري
الوان باقات شقائنا
خفيفة جدا
لاسعاد غابرييل في قبره

آه .. في تويجاتها يولد من جديد
الوطن المضيء
والبحر
ومدينة صباه «طولون»

في مقبرة ايفري
مهما فعلوا مهما محوا
فان الريح التي تمر ستنقل للعابرين
اسم غابرييل بيري

في مقبرة ايفري
تحت ارض الاهمال
مايزال ينبض من اجل فرنسا
قلب غابرييل بيري

الغرف

«مقطع»

ليتقدم ذلك الذي يكرهني ليقتلني
ساقول له بكل جوارحي : شكرا

يزعمون ان الذاكرة
تستعرض الحياة لحظة الموت
ارحموني من هذه التجربة
ارحموني من تجربة الزمن المقلوب
ماذا صنعت للسماء لترغمني على التذكار

اريد ان اضيع في هذه الغرف
غرف الازمنة المعذبة
افتح الابواب على صمتي
اصغي الى الماضي يهرب من مزهرية مصدوعة
الى الزهرة يذيبها خور الماء
الى المطر يتلاشى في حمامه
لم يبق لي غير ان اكون بين ذراعيك ذراعي النسيان

يا غرف الثياب المرمية على كرسي
هذا المساء لن ابحث عن الحذاء الضائع
لن افتح الرسائل التي تنتظرني على الطاولة
ستختنق شفتاي على كتفك آهات الليالي الغابرة
غرف لن يتحدث فيها غير الاثاث المهجور في الظل
لقد بلغنا شاونا في السفر
الخيول لم تعد قادرة على السير

حتى الجلاجل الطفلات
سنواتي طرقاتي تنزف
ليس للمنظر الذي يحيطني
من شجر سوى الاشفاق .

« النهاية » .. اخر قصيدة كتبها اراغون في ٢٠ حزيران ١٩٨٢